تامر مهدي و عائشا زكي – اللجنة لأممية العمال (CWI) في لبنان
16 يناير 2009

غزة تحترق تحت ارهاب الدولة الاسرائيلية

لتنظيم جماهيري وديموقراطي للاحتجاجات ولتطورها ضد المشروع الرأسمالي للشرق الأوسط

لبناء منظمات بديلة للعمال والفقراء في جميع أنحاء العالم

كان اليومان الماضيان الاشد قسوة منذ اندلاع الحرب على قطاع غزة فإسرائيل تحاول أن تفرض أمرا واقعا أو إنتصار وهمي لانهاء عدوانها. ان عدد القتلى فاق ال1000 وثلثهم أطفال ، وعدد الاصابات يزيد عن ال5000 والكثير منها سبب انفجارات مروعة تنتج فقدان الأطراف وتكون على مدى الحياة. أطباء يعالجون الحروق من قنابل فوسفورية يقولون أن لا بد من أن يكون وراء عدد من الإصابات أسلحة قاتلة وغامظة من أنواع جديدة.

الجيش الإسرائيلي لا يلتزم بالهدنة التي أعلنها لمدة ثلاث ساعات يوميا بل يقصف المستشفيات والعاملين في المجال الإنساني وشاحنات مساعدات واسعافات عليها علامات واضحة. وكذلك المروع غير القتلى والجرحى ، وعدم وجود الغذاء والماء ، أن الكثير من سكان غزة الذين كانوا لاجئين قبل هذا الغزو الرهيب يجدون أنفسهم الآن لاجئين مرة أخرى ، كما منازلهم تتعرض للقصف أو التجريف.

ويُستخدم التعذيب النفسي أيضا في عدة أشكال مثل المناشير التي تُسقط والمكالمات الهاتفية للمنازل في قطاع غزة القائلة ان الهجوم سيصعَد والتي تنبه المدنيين للابتعاد عن مقاتلي حماس. ولكن المدنيون والمقاتلون على حد سواء لا يمكنهم الفرار الى مكان آخر. وبوحشية ، المدافعون عن النظام الإسرائيلي المروع يدعون ان الجيش الاسرائيلي 'يقف امام النساء والأطفال' في حين أن مقاتلو حماس 'يختبئون وراءهم'. هذا في حين أن قطاع غزة مكتظ بالسكان ، ويجري ضربه المرعب بالتكنولوجيا العالية والقذائف بينما حماس ليس لديها الأسلحة التي يمكن أن تنافس بها.

ويقول أحد الخبراء الاستراتيجيين أن المواجهات التي تدور الآن على أطراف قطاع غزة هي محاولة الربع الساعة الاخير أي ان ما يبدو هو أن نهاية الحرب باتت وشيكة. وصمود الفلسطينيين بكافة فصائلهم وبمقاومتهم في غزة أسبت مرة اخرى انه لا يمكن انهاء المقاومة بالقوة بل حركة حماس فازت في الإنتخابات لسبب موقفها ضد الانظمة الفاسدة التي تتأمر على الشعب الفلسطيني وكان ذلك واضح في الانتخابات التي من خلالها نالت حركة حماس 64% من أصوات الناخبين وكان هذا الفوز نتيجة فساد حركة فتح وفشل سياسة المفاوضات الفاشلة التي اتبعتها القيادة الفلسطينية في العقدين الاخرين.

الحركات الاسلامية لا تقدم بديل

الصواريخ التي أطلقت من لبنان باتجاه اسرائيل اثارت مخاوف اللبنانيين من تجدد القتال في الجنوب وانتشاره في لبنان كله على غرار ما حدث في تموز 2006. لكن هذه الصواريخ ليست الا رسائل من ما يسمى "خلايا نائمة" تعمل الآن لفتح جبهة اخرى في الجنوب. ورغم أن حزب الله لا يريد فتح جبهة حاليا، فانه لا يستطيع ان يسيطر على الوضع أو على الحركات الاسلامية الاخرى بل من الممكن أن ينجر الى صراع إن انفجر الوضع وتشن اسرائيل هجوما آخرا على لبنان.

لكن هذه الصواريخ لا تلحق الضرر بالنظام الاسرائيلي – لا بالحصار ولا بالاحتلال ولا بالقمع العسكري، ولا تضر بالاسرائيليين المسؤولين هذه الأمور بل تُستعمل منهم لتبرير العدوان والحروب التي يقودونها في المنطقة. عمليا إن الصواريخ تقوي النظام الإسرائيلي لأنها تدفع بالكثير من اليهود إلى دعم الحكومة والى اليمين المتطرف والعنصرية، لذا الى دعم الحرب. تُشكل هذه الصواريخ ذريعة للسياسة الإسرائيلية الهمجية وتعزز هذه الصواريخ أيضا أحزاب اليمين المتطرف، بما في ذلك ليبرمان، الذين يتوعدون بالقيام بما هو أفظع مما تقوم به الحكومة حاليا. إن التكتيكات العسكرية التي تقوم بها حركة حماس هي نتيجة لفكرها الذي لا يطرح أي إستراتيجية شاملة للنضال الفلسطيني الجماهيري سوى عمليات الانتقام وحلم التحرير في المستقبل الغير منظور.

القمة العربية في وجه غليان شعوب المنطقة

المظاهرات والاحتجاجات تتوسع وتطالب الحكام بالتحرك الفوري بينما الانظمة العربية الفاسدة والقامعة تتعايش مع هذه الحرب وكأنها تدور على كوكب آخر. والبعض مثل مصر يرفض حتى عقد قمة كي لا يواجهوا الحقيقة ويتطروا الى اتخاز قرار بوجه الولايات المتحدة وإسرائيل مما يطالب به الشارع العربي. فالغليان يدفع الجماهير في المنطقة الى التحرك والى تطوير المطالب لربطها حاليا بالمشاريع الاقتصادية بين المنطقة والامم المتحدة الداعمة لاسرائيل، وخصوصا لقطع العلاقات السعودية الامريكية. لكن تلك الحكومات ليست مهتمة لانقاظ شعوب المنطقة من الحروب والافقار بل هي مشاركة في النظام الرأسمالي ومسيطرة على ثروات المنطقة من نفط ومياه ولذلك انها تجد مصالحها عند القوة الامبريالية وشركات الدول الكبرى.

لذا يجب ان تتطور دعوات وتحركات اليسار مما هو حاليا اعمال فردية من مجموعات شبابية لمقاطعة فروعات ستارباكس، الى دعوات لعمال هذه الفروع لتنظيم أنفسهم والاضراب الجماعي والشامل للضغط على اصحاب هذه الشركات أن تعارض تمويل الجيش الاسرائيلي. الذين يعملون لهذه الشركات الكبرى ليس لديهم بديل الا ان يناضلوا لتحسين ظروفهم المعيشية. لذا الاكثر فعالية هو ربط القضايا المعيشية للعمال ونضالهم لتحسين اجورهم ولحق التنظيم النقابي بقضية فلسطين والشرق الأوسط والحروب التي تشن من قبل أرباب العمل الكبار لدافع واحد وهو فوائد النفط والسلطة على السوق وعلى العمال. انه من المعروف أن النظام الاسرائيلي هو يد امريكا في المنطقة وأن حكومات عربية عديدة تعترف بكل وقاحة بعلاقتها بهما لاسباب اقتصادية. لذا انه واضح للشعوب الفقيرة أن لدى الحكام العرب يد في هذه المجازر لكسر أي معارضة تقف بوجه مشروع "لشرق الأوسط الجديد".

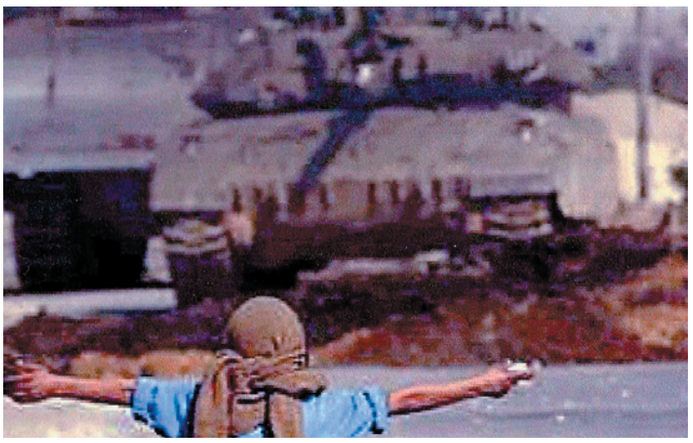

لتوسيع التحركات في جميع أنحاء العالم

على اليسار التحرك باتجاه النقابيين والعمال والفقراء الذين يدفعون الثمن، ولتوحيدهم من خلال برنامج عمالي بديل يقف بوجه سياسات التفقير والحروب ويطرح تأميم واستخدام الأراضي والثروات لرفع المستويات المعيشية. فان هذه الانظمة العربية تشعر بالغليان على الارض وتتطر ان تستجب على الحد الادنى من طلبات شعوبها لأن لا تفقد السيطرة على الوضع في الشارع ، مما يمكن أن يحصل خاصة في مصر والاردن. لذلك فهي حاولت تأجيل القمة وشراء الوقت لتنهي الدولة الاسرائيلية حربها وتفرض انتصارها الوهمي.

على اليسار في لبنان والعالم توضيح دور القوة الحاكمة واستثمار وتكثيف التحركات ضد هذه الانظمة الرأسمالية التي لا تأتي الا بالحروب والمجاعات. ويجب العمل على اظهار دولة اسرائيل على أنها رأسمالية وعنصرية ووحشية وأنها تمارس هي وحلفائها وبينهم عرب سياسيات اقتصادية طامعة في السيطرة على الشرق الأوسط. فمن هذا المنطلق الطبقي للأسباب وراء التهجم على غزة وعلى أي شعب يهدد مصالح الطبقة الحاكمة المتوحشة في العالم وخاصة في المنطقة، لدى اليسار واجب ان يطالب بالضغط على الحكومات عبر تحركات جماهيرية عمالية – القوة الوحيدة القادرة على تغيير الواقع في فلسطين واسرائيل والشرق الأوسط والعالم.

لبناء منظمات عمالية

انه مهم ان يكون اليسار في هذا الزمن اكثر وضوحا في موقفه الطبقي ليبني من هذه الحرب تحركات عمالية وشبابية تناضل من اجل بناء منظمات اشتراكية ونقابات مستقلة ومناضلة وقادرة على تكوين احزاب جماهيرية تتحدى الرأسماليين وتفرض قوتها الجماعية بتنظيمها الديمقراطي والثوري. ان التاريخ مليء بأمثال كهذه وحان الوقت لهزم الأنظمة المعفنة ولتغيير المجتمع. نحن نناضل من اجل وحدة العمال والاشتراكية الحقيقية ولو كانت الظروف صعبة. انضموا الينا!